الدرس السادس والخمسون: الدعوة إلى الله

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة الشيخ عبد الحميد الجزائري رحمه الله كما ورد في (تاريخ الجزائر): أن المندوب الفرنسي أيام الاستعمار كان يقول بكل صراحة: جئنا لطمس معالم الإسلام، واستدعى الشيخ عبد الحميد وقال له: إما أن تقلع عن تلقين تلاميذك هذه الأفكار، وإلا أرسلت الجنود لقفل المسجد وإخماد أصواتكم المنكرة، فقال الشيخ بثبات المؤمن: إنك لن تستطيع فاستشاط غضبا وأرغى وأزبد وقال: كيف؟!

قال: إن كنت في حفل عرس علمت المحتفلين، وإن كنت في اجتماع علمت المجتمعين، وإن ركبت سيارة علمت الراكبين، وإن ركبت قطارا علمت المسافرين، وإن دخلت السجن أرشدت المسجونين، وإن قتلتموني ألهبتم مشاعر المسلمين، وخير لكم، ثم خير لكم ألا تتعرضوا للأمة في دينها، فوالله لا نقاتلكم إلا بهذا الدين، ووالله لا نقاتلكم إلا لهذا الدين.

أخي الحبيب، الداعي الأول إلى الله تعالى، هو رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى:{**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً (45) وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً(46)**} [الأحزاب 45 - 46] (6).

كما أن المكلف بالدعوة إلى الله هو كل مسلم ومسلمة، لأن الأمة الإسلامية تتكون منهم، فكل بالغ عاقل من الأمة الإسلامية، ذكراً كان أو أنثى، فلا يخص هذا الأمر العلماء وفقط، أو كما يسميهم بعضهم أو بعض الناس رجال الدين، لأنه واجب على الجميع، وإنما يختصون بتبليغ تفاصيله وأحكامه ومعانيه نظراً لسعة علمهم به ومعرفتهم بجزئياته. ويزيد الأمر وضوحاً وهو أن المكلف بالدعوة إلى الله تعالى هو كل مسلم

ومسلمة، والدليل على ذلك قول ربنا جل جلاله:{قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُـو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(108)} [يوسف:108]، فأتباع الرسول صلى الله عليه وسلم المؤمنون به، يدعون الى الله على بصيرة أي علم ويقين، كما كان رسولهم صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الله على بصيرة ويقين، فالعلم شرط من شروط الدعوة إلى الله، ولكن العلم ليس شيئاً واحداً لا يتجزأ ولا يتبعض وإنما هو بطبيعته يتجزأ، فمن علم مسألة وجهل أخرى فهو عالم بالأولى جاهل بالثانية، ومعنى ذلك أن يعد من جملة العلماء بالمسألة الأولى، وبالتالي يتوفر فيه شرط وجوب الدعوة الى ما علم دون ما جهل، ولا خلاف بين الفقهاء، أن من جهل شيئاً أو جهل حكمه أنه لا يدعو اليه (10).

وللدعوة إلى الله فضائل عظيمة بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنتة المشرفة، فَعَن أبي هُرَيْرَةَ ☺ ، أنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ:**"مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنْ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا** - [1].

وَعَنْ سَهْلِ بن سَعْدٍ ☺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ خَيْبَرَ لِعَلِيِّ بْنِ أبي طَالِبٍ ☺ :**"انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإسلام وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ** - [2].

معاشر الإخوة، ينبغي على الدعاة البدء بترسيخ أمور العقيدة عند الناس تأسيا بسنة الحبيب، فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ☻ ، أنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بَعَثَ مُعَاذًا ☺ إلى الْيَمَنِ فَقَالَ:**"ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ**

(1) (صحيح) أخرجه (م) 674.
(2) (صحيح) أخرجه (خ) 881.

عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ - [1].

وللدعوة إلى الله آداب كثيرة نذكر منها:

1 - الإخلاص في الدعوة، فتكون دعوتهم من أجل مرضاة الله ♣ : ويكون هدف الداعية هو إقامة الدين مصداقا لقول الله تعالى عن نبي الله شعيب عليه السلام:{إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [هود:88].

2 - يلزم الداعية أن يدعو على بصيرة بالعلم النافع من الكتاب والسنة.

3 - لا يعجب بعمله بل يعلم أنه مقصر، وأن الناس مقصرون.

4 - يجب على الداعية ألا يهون على الناس المعاصي، بل يخوفهم من الواحد الأحد، فيكون في دعوته وسطاً بين الخوف والرجاء.

5 - عدم الهجوم على الأشخاص بأسمائهم: بل يفعل كما فعل النبي ويقول: **ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا**، فيعرف المخطأ خطأه بدون التشهير به

6 - عدم الإحباط من كثرة الفساد والمفسدين، فهذه سنة الله في خلقه{وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً} [الأحزاب:62].

7 - عدم الاستدلال بالأحاديث الموضوعة بل دائما يتأكد من صحة أقواله.

8 - على الداعية أن يكون ليِّنا في الخطاب، فقد كان رسول الله لين الكلام بشوش الوجه متواضعاً محبباً إلى الكبير والصغير.

9 - على الداعية أن يعلن الدعو ة للمصلحة، كالموعظة العامة في قرية أو بلدة أو في مدينة، ولكنه إذا أتى ينصح شخصاً بعينه فعليه أن يسر الدعوة، فيأخذه على حدة، ويتلطف له في العبارة.

10 - مخاطبة الناس على قدر عقولهم وينزل الناس منازلهم.

11 - على الداعي أن يتآلف مع الناس مرة بالهدية ومرة بالزيارة،

(1) (صحيح) أخرجه (خ) 1331 و(م) 29.

فيجب أن يكون الداعية اجتماعياً، وأن يشارك الناس أحزانهم وأفراحهم.

12 - ألا يخالف عمله قوله قال تعالى:{أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} [البقرة:44].

13 - أن يتقلل من الدنيا ويستعد للموت (57).

الإخوة الدعاة، نصيحتي لكم أن توجهوا الشباب حديثي العهد بالالتزام برفق فيعطى هذا الشاب الإيمان والهدى على جرعات؛ حتى يستقيم على هدى الله تعالى، ولا يعني ذلك أن نتركه يمشي على معصيته، لكن عندما أخاطبه فيكون راغباً في الحق أعطيه قليلاً قليلاً، حتى لا يواجه معركة لا يستطيع أن يواجهها، فيبدأ بالأساسيات ويعالج الأمور بحكمة مع من حوله، وبالنسبة للعلاقة بالوالدين تقدم لهما الخير والحق والهدى، على طبق من المحبة والاحترام والتقدير، ويقيم الحجة على الأقارب الأقرب بالحكمة والسهولة واللين، ولو أننا استطعنا أن ننقل أسرنا ومجتمعنا إلى درجة عالية من العلم؛ لفرقوا بين البدعة وبين السنة (67).

ولعل من المفيد في أمر الدعوة إلى الله تعالى التحرك إلى من تريد دعوته، وذلك بعمل زيارات له، وقد تكون هذه الزيارات في المنازل، أو في الأسواق... إلخ، وللزيارة في الله تعالى فضائل عظيمة نذكر منها، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ☺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :"**مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي الله؛ نَادَاهُ مُنَادٍ أَنْ طِبْتَ، وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنْ الْجَنَّةِ مَنْزِلاً** "[1]، ومن المفيد أيضا في أمر الدعوة استخدام الهدية فقد تهديه سواكا أو قطعة حلوى، أو عطراً، أو تعطره...الخ، وينبغي أن تختلف طريقة الدعوة تبعا لثقافة المدعو، وعند الدعوة إلى الله نبدأ بالتحدث عن نعم الله تعالى علينا، ثم مقدار محبتنا لله تعالى باتباعنا لرسول الله لقول الله تعالى:{قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَالله غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [آل عمران:31]، ثم ترغيب المدعو إلى الله للبذل لدين الله تعالى وذلك بحمل هم الدين بتعلم العلم الشرعي والعمل به والدعوة إليه.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(1) (حسن) أخرجه (ت هـ) وحسنه الألباني في ص. ج 6387.